رسائل مولاي العربي الدرقاوي

رضي الله عنهم وأرضاهم



الجزء الخامس



بسم الله الرحمن الرحيم

الرسالة السادسة والستون

في الترهيب من الوقوع في المحرمات والمكروهات

66 - ومنها : فاسمع أيها الفقير ❁ إني أحب من يكون على خرق عوائد نفسه منكم أن يكون على حذر من الوقوع في المحرمات والمكروهات ❁ لئلا تنقلب حقيقته النورانية إلى حقيقة ظلمانية ❁ كما وقع لكثير من أهل الطريق ❁ فقد رأيت بعضهم لا يهتمون بالشريعة المحمدية ولا يبالي ❁ وإن

قلت له : خاف من ربك ❋ يقول لي : «ما هو إلا هو» (ربما يقصد هذا المريد أنه بلغ مقام سيدنا النبي ❋ نعوذ بالله من الخذلان) ❋ مع أن نفسه تشبه نفس فرعون ونفس النمرود ❋ ولا حول ولا قوة إلا بالله ❋

ولا يحل لفقير وغيره أن يكون كذلك ❋ إلا إن غلب عليه السكر حتى غاب عن إحساسه غيبة من غير شعور قط ❋ كالولي الشهير أبي الحسن سيدي علي بن حمدوش بـزرهون ❋ وكالولي الشريف سيدي محمد

بن علي بن ريسون العلمي بتازروت ❋ ونظائرهما رضي الله عنهم ❋ فمن غاب عن إحساسه في شهود عظمة ربه كهؤلاء فيعذر ولا يؤاخذ ❋ إذ الدية على العاقل ❋

ومن كانت نفسه تشبه نفس فرعون ونفس النمرود فلا يعذر شرعا ❋ بل يؤاخذ المؤاخذة البالغة ❋ إلا إذا لم يحضر من يحده فالأمر لله ❋ وإن فعل ذلك من غير شريعة فهو وفرعون والنمرود وأبو جهل لعنهم الله سواء

❊ لا فضل لأحدهم على الآخر ❊ والله ينقذ بواطننا وظواهرنا من كل خطأ ❊ والسلام ❊

الرسالة السابعة والستون

في معنى العبودية الحقة

67 - ومنها : فمن أراد أن تريه الحرية وجهها فليُرِها وجه عبوديته ❊ وهو النية الصالحة ❊ والمحبة الصادقة ❊ والظن الحسن ❊ والخلق الكريم ❊ والوقوف عند الأمر والنهي من غير تبديل ولا تغيير ❊ فإنها تريه وجهَها ولا تستره عنه ❊ والسلام ❊

الرسالة الثامنة والستون

في التأكيد على التخلية من كل وصف مذموم والتحلية بكل وصف محمود

68 - ومنها : فلا تكلف من يأتيك أيها الشيخ بأن يقول «الله الله الله» دائما * أو أن يصلي دائما * أو يصوم دائما * أو يتلو دائما وحالته الهيمان (شدة الحب) في الدنيا * والكب (شدة الاستمرار) على القيل والقال * وكلفه بالمفروض وبما تأكد من المسنون وترك ما لا يعني والأخلاق الكريمة * فإذا ذكر الله تعالى

مرة واحدة ❋ أو صلى صلاة واحدة ❋ أو تلا سورة واحدة ❋ وهكذا ❋ كان له ذلك مع الحالة الشريفة المذكورة خير من أن يفعل ذلك ألف مرة مع الحالة الذميمة ❋ التي هي الهيمان في الدنيا والكب على القيل والقال والاستغراق في الضلال ❋ والله ينقذنا ❋ والسلام ❋

الرسالة التاسعة والستون

في فضل الإذن وسره

69 - ومنها : فإني لما ظفرت بأستاذي رضي الله عنه ❁ عام اثنين وثمانين ومائة وألف ❁ قد أذن لي أن يأخذ مني بعض أسنيدي ❁ إذ كان من أشياخي في القرآن العظيم ❁ وعزم علي أن يتخذ أستاذي شيخا كما اتخذته أنا ❁ لكن أراد الإذنَ من الشيخ له ❁ فتعلق بي في ذلك ❁ فلما أعلمته قال رضي الله عنه : «خذ بيده أنت» ❁ إذ

كنت قد أعلمته به قبل ذلك ❁ فذكرته ما كان يذكرني هو به رضي الله عنه ❁ فنفعت الذكرى ببركة إذن أستاذي الشريف رضي الله عنه ❁

لكن حال الزمان بيني وبينه بانتقالي عنه من فاس إلى قبيلة بني زروال التي تركونا أسلافنا بارك الله فيها ❁ وبقي الأستاذ بفاس البالي بلا تمام ❁ ولما عزمت على الرحيل إلى القبيلة المذكورة قلت لأستاذي : «ليس لي هناك معي من نتنفس معه في

فني» ❊ إذ هو لا يقول إلا بذلك ❊ فقال لي رضي الله عنه : «ألدها» ❊ كأنه رضي الله عنه قد رأى الولادة المعنوية تكون على يدي أو رآها ❊ فكررت عليه القول مرة أخرى ❊ فقال لي أيضا : «ألدهم» ❊ فببركة إذنه وسره جاءني رجل ❊ كثر الله مثله في الإسلام ❊ فبنفس ما رأيته ورآني قضى الله حاجته ❊ أي حصّل مقام الفناء والبقاء من أول وهلة ❊ والله على ما نقول وكيل ❊

فظهر لي فضل الإذن وسره ❋ وانتفت عني
بسبب ذلك الشكوك والأوهام ❋ والحمد لله
والشكر لله ❋ ثم اشتاقت نفسي أيضا إلى
الإذن من الله ورسوله صلى الله عليه وآله
وسلم ❋ واضطررت إليه اضطرارا كبيرا ❋
فبينما أنا ذات يوم بموضع خال بوسط غابة
❋ وأنا حينئذ سكران صاحيا مستغرقا غاية
الاستغراق في سكري ❋ ومستغرقا غاية
الاستغراق في صحوي ❋ جامعا بينهما ❋
وقويا فيهما القوة الكبيرة ❋ إذ سمعت

خطابا من ذاتي بأسرها ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ الذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ الۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ❁ فسكن قلبي بذلك واطمأن ❁ وأيقنت أن الخطاب من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ❁ إذ كنت بالحضرتين الكريمتين الربانية والنبوية ❁ وكان والله خرق عادة من ذاتي بأسرها ولا له كيف يعرف به ❁ إنما يعرفه من عرف الله سبحانه ❁ تارة يخاطب عبده من نفسه ❁ كما وقع لنا وكما وقع لغيرنا ❁ قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي أبو

الحسن الششتري رضي الله عنه -وهي تنسب إلى سيدي أبي مدين الغوث- :

وسمعت الخطاب من ذاتي من مكان قريب
يا حياتي وأنت في ذاتي حاضر لا تغيب

وتارة يخاطبه من جنسه ❃ وتارة من الجماد ❃ وتارة من الحيوانات ❃ وتارة من الهواء ❃ وتارة من جهة واحدة ❃ وتارة من سائر الجهات ❃ ولا يعرف ذلك إلا من عرفه الله ❃ ولا يحمله إلا من قواه الله ❃

وقد بقيت الآية الكريمة التي خوطبت بها من ذاتي بأسرها ممزوجة بلحمي ودمي نحو العشرة أيام أو أكثر ❋ والله على ما نقول وكيل ❋

ولما وقع هذا الإذن جاء المؤمنون في الحس بنفس ما رأيناهم ورأونا ❋ تذكروا وتذكرنا ❋ وانتفعنا منهم وانتفعوا منا ❋ وربحنا منهم وربحوا منا ❋ وكان ما كان من الخير والسر ❋ والفضل والبركة والعناية

❇ وذلك بالقبيلة الزروالية دفع الله عنها كل بلية ❇ والحمد لله والشكر لله ❇ والسلام ❇

الرسالة السبعون

في التأكيد على الارتحال

من عالم الحس إلى عالم المعنى

70 - ومنها : فالسبب للفقير الذي لم يتربى للمربي هو عدم ارتحاله من عالم الحس إلى عالم المعنى ❇ فلو كان في عالم المعاني لتربي ❇ إذ لا يتربى إلا الموجود ❇ وهو الذي خلق في المعاني ❇ وأما المعدوم فكيف

يتصور أن يتربى وهو في العدم ❁ فقد جرى على ألسنة الناس : «حتى يخلق ونسموه» ❁ فإذا أردت أيها الفقير أن تربي من شئت ❁ فتسبب في ولادته في المعاني حتى تحصل له ❁ فإذا حصلت فحينئذ ربيه فإنه يتربى لك ❁

وقد تفرست غاية جهدي في إخواني الفقراء ❁ فلم نجد فيهم من رحل من عالم الحس إلى عالم المعنى إلا النادر ❁ والنادر لا حكم له ❁ فساءني والله حالُهم غاية ❁

ثم تفرست أيضا في السبب الذي منعهم من ورود المعاني عليهم مع وجود تجردهم من الأسباب والثياب ❁ ومن الأحباب والأصحاب ❁ فوجدت محبتهم للدنيا أو سكونهم إليها ❁ إذ هم لطف الله بهم بعدما تجردوا كما ذكرنا فقد أسرفوا في السؤال ❁ ولولا حب الدنيا والركون إليها لما أسرفوا فيه ❁ وقد يسرف الصادق وهو لا حاجة له بها ❁ إذ لا حاجة بالسرف لمن خرج حبها من قلبه ❁

فتنبه أيها الفقير ❊ وقل عنا لمن شئت : «إن أردت أن ترد عليك المعاني كما وردت على غيرك من أهل الصدق أو أكثر منهم ❊ فتأخر عن الدنيا وعن سائر شهواتك ❊ فإنها ترد عليك بجيوشها العظيمة القوية الشديدة ❊ فتأخذك إليها قهرا على أنفك» ❊

ولعن الله من كذب عليك ❊ إذ لاشك أن الله تعالى قد جعل لك ولكل واحد من الناس منها مثل ما جعل للبحر من الأمواج ❊ فلو علموها ما اشتغلوا بشيء عنها ❊ ولو

علموها أيضا لوجدوا أنفسهم أنهم فيها بحور لا ساحل لها ❊ واللهُ على ما نقول وكيل ❊ والسلام ❊

الرسالة الحادية والسبعون
في الحض على علو الهمة

71 - ومنها : فكن أيها الفقير على الهمة دائما ترى عجبا ❊ فإن قلت : كيف ذلك ❊ قلت : قد قال السلطان الشريف السعدي مولاي أحمد الذهبي رضي الله

عنه ❊ للولي الأشهر سيدي أبي الشتاء الخمار نفع الله به : «أنجعل لك الحرمَ من وادي سبوا إلى وادي وزغة» ❊ فقال : «فالله تعالى قد جعل لي الحرمَ من العرش إلى الفرش» ❊

وقال ولي الله تعالى سيدي عبد السلام الرتال الأغزاوي رضي الله عنه لسيدي أحمد الخضر عليه السلام ❊ بعد أن سلم عليه ورد عليه السلام واشتغل بشغله ولم يلتفت إليه : «رد السلام» ❊ فقال له إذ ذاك : «أهل عرفتني» ❊ فقال له : «من أنت» ❊

فقال : «أنا الخضر» ❀ فقال له : «أشخصت ❀ فهكذا تكون الهمة العلية ❀ وإلا فلا ❀ والسلام ❀

الرسالة الثانية والسبعون
في الترغيب على تطهير الباطن وسلامة الصدر

72 - ومنها : فقد قلت لبعض المدعين المشحونة قلوبهم بالغل والحسد والكبر والرياء والعجب والبخل والحرص وغير ذلك من الرذائل : «كن سالم الصدر ❀ وأنقص من صلاتك ومن سائر أعمالك ❀

ولا تقم إلا بالمفروض وبما تأكد من المسنون ❊ ولا تزد شيئا ❊ إذ لا ينفعك كثرة أعمالك مع خبث قلبك ❊ ولو علمت ما علمت ❊ إنما تنفعك سلامة صدرك ما فرض الله عليك ❊ وأقل عمل يكفيك معها ❊ ولا يكفيك صيام نهارك وقيام ليلك أو عبادة دهرك كله مع مرض قلبك ❊ واستغراقك فيما يكره الله منك ❊ والعياذ بالله من حالك ومن حال أمثالك» ❊

والسلام ❊

الرسالة الثالثة والسبعون

في الحث على موافقة القلوب والسرائر أعمال الجوارح والظواهر

72- ومنها : فإني نرى كثيرا من الفقراء وكثيرا من أهل العلم وكثيرا من الناس على عبادة كثيرة ❊ ولم يظهر لهم سر ما ظهر لمن له الأمر أيسر منها ❊ إذ لا يخلو منه - أي من السر- إلا جاهل أو مخذول ❊ فظهر لي أن ذلك من ترددهم في توجههم إلى ربهم ❊ إذ هم لطف الله بهم بعدما أعرضوا عن الهوى ❊ وأقبلوا على ربهم

بأجسامهم ❋ فقلوبهم باقية على ما كانت عليه من حال الغفلة ❋ وهي حالة خسيسة والعياذ بالله ❋ ولو وافقت قلوبهم جوارحهم لرأوا من الأسرار والفوائد خرقَ العوائد ❋ والسلام ❋

الرسالة الرابعة والسبعون

وصيته رضي الله عنه لبعض فقهاء الظاهر في عدم الانكار على أهل الباطن لا سيما المتأدبين بآداب الشريعة

73 - ومنها : فاعلم أيها الفقير أني كتبت لبعض الفقهاء المنكرين لما نحن عليه من

حال الفقر ❁ بعد السلام عليكم ❁ لطف الله بكم ❁ ومن كل ضلال أنقذنا وإياكم : بلغنا أنكم قد تركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب غيركم ❁ أوما تعلمون أن في كتاب الله تعالى ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ ❁ أوليست لكم عيوب ❁ حاشا من سلم من العيوب أن يرى غير المحبوب ❁ فلا يرى العيب إلا العائب ❁ وأي عيب أعظم من رؤية الأغيار التي لا ترون إلا إياها آناء

الليل وأطراف النهار ❁ ولا شك أن القبيح والمليح كلاهما لا يرى إلا وجهه في الناس ❁ فكن مليحا ترى الملاح ❁ وكن قبيحا ترى القباح ❁

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي البوصيري رضي الله عنه :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

وهذا ميزان صحيح ❋ والله إن كنا مرضى
لكان الماء في فمنا إلا مرّا ❋ ولو كانت
وجوهنا المعنوية حسنة لكانت وجوهنا
الحسية إلا حسنة ❋ إذ الناس كالمرآة
للناظرين ❋ فمن وجهه مليحا رأى فيهم
وجها حسنا ❋ ومن كان وجهه قبيحا رأى
فيهم وجها قبيحا ❋ ولا يمكن أن يرى المليح
من كان قبيحا ❋ كما لا يمكن أن يرى
القبيح من كان مليحا ❋ ولأجل هذا قال

الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبو الحسن سيدي على الحروبي رضي الله عنه :

قل للذين رأوا ما ينكرون فينا

لصفاء شربنا رأوا وجوههم فينا

وقد كنا فقهاء كما أنتم وأقبح منكم ❁ إذ كنا نستقبح أحوال الناس ونستحسن أحوال أنفسنا ❁ وكان مثلنا عدد كثير من الناس كالشيخ الجليل ولي الله تعالى عز الدين بن عبد السلام ❁ والشيخ الجليل ولي الله تعالى

الغزالي ❊ والشيخ الجليل ولي الله تعالى تاج الدين ابن عطاء الله ❊ والشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي أبي الحسن الشاذلي ونظرائهم رضي الله عنهم ❊ فلما فتح الله بصائرهم ونور سرائرهم وأزال حجاب الوهم عنهم ❊ بحثوا إذ ذاك على القبح فلم يجدوا له خبرا ❊

واسمعوا أيها الفقهاء ما قال بعضهم : «لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع ❊ فإنه لا غير معه حتى أشهده معه» ❊ وقالوا :

مذ عرفت الإله لم أر غيرًا

وكذا الغير عندنا ممنوع

مذ تجمعت ما خشيت افتراقًا

وأنا اليوم واصل مجموع

وقالوا : أبى المحققون أن يشهدوا غير الله ❊

وقالوا -لأبي مدين الغوث- :

اللهَ قل وذر الوجود وما حوى

إن كنت مرتادا بلوغ كمالِ

فالكل دون الله إن حققته

عدم على التفصيل والإجمالِ

واعلم بأنك والعوالم كلها

لولاه في محو وفي اضمحلال

من لا وجود لذاته من ذاته

فوجوده - لولاه - عين محال

فالعارفون فنوا ولما يشهدوا

شيئا سوى المتكبر المتعال

ورأوا سواه على الحقيقة هالكا

في الحال والماضي والاستقبال

وهكذا ❊ والأمر في الذكر واسع ❊ وفضل الله وكرمه وجوده ورحمته أوسع وأوسع ❊

أوما وجدتم ما ينكر ويكره ويستقبح ويستثقل إلا ذكر الله تعالى في بيوت الله تعالى التي أمرنا به سبحانه حيث قال في كتابه ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ❁ أو أنتم تعبدون ربكم ❁ ومن ذكرتم يفتنكم بهذا إن كان لا يقبل فاعله بل يرد عليه ❁ ويضرب به وجهه ❁ ولا يستحسنه إلا جاهل أو راض عن نفسه ❁ ولا نرى من يعبد الله بناحيتكم كما تزعمون

❁ وإنما نرى بعض الطلبة يقرؤون ولا يصلون في غالب أوقاتهم ❁

وأما استعمال تابغة والحشيشة واللواطة والغيبة والنميمة ومثل ذلك مما نهانا ربنا عنه ❁ فلا كلام لكم ولا لهم على ذلك ❁ ولا نراكم تسرعون إلى شيء مثل ما تسرعون إلى الكلام في أهل الطريقة رضي الله عنهم ❁ وقد عمت البلوى بما أنتم عليه في سائر البلاد ❁ فأهل الانتساب إلى الله الذين تابوا من ذلك إلى الله لا تشتغلون إلا بهم

وعيوبهم ❁ كأن تعالى قد أمنكم منها وحاشاه من ذلك ❁ ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ❁

وحاصل الأمر إن أردتم النصيحة والسلامة من الفضيحة ❁ فتوبوا إلى ربكم من ذنبكم ❁ إذ قال تعالى في كتابه ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ❁ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «توبوا فإني أتوب إلى الله في كل يوم سبعين مرة» ❁ وفي حديث آخر : «مائة

مرة» ❋ وهذا أن الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ❋ ونرى أنه عليه السلام كان يترقى في المقامات ❋ ومهما وصل إلى مقام وجده أعلى من الذي قبله ❋ وإن كان مقاما عليا أي مقام ❋ ويا ليتنا وصلنا مقاما تاب منه صلى الله عليه وآله وسلم ❋ «حسنات الأبرار سيئات الأخيار ❋وحسنات الأخيار سيئات المقربين» ❋

ولا بد توبوا إلى الله ❋ وردوا المظالم إلى أهلها ❋ واجتنبوا الكذب والغيبة والنميمة

والمحرمات والمكروهات بأسرها ❁ وتنبهوا لما به قد شحنت قلوبكم من الخبائث التي حرم الله عليكم ❁ ما ظهر منها وما بطن ❁ فالظاهرة ما أنتم عليها أيها الطلبة الغافلون ❁ وقد ذكرناه وأوضحناه ❁ والباطنة ما أردنا ذكره من كبر ورياء وحسد وعجب وغيبة ونميمة وفسق وسفه وحرص وبخل ❁ وغير ذلك من الخبائث التي لا يحل لمؤمن أن يشحن قلبه بها ❁ إنما يحل له أن يطهره منها بالليل قبل النهار ❁ وفي الجلوس قبل القيام

إن أمكنه ذلك ❁ وإلا فليبحث على

الطبيب في بلاد المغرب بأسرها ❁ وفي

الحواضر والبوادي منها ❁ فإن وجده فلا

يفارقه ❁ وليلازمه حتى يطهر قلبه من

الخبث الذي أصابه ومن سائر عيوبه ❁ وإن

لم يجده بأرض المغرب فليتوجه إلى بلاد

المشرق حرسها الله من حينه ❁ ولا يتأنى

حتى يمشي مع الحجاج ❁ بل يسرع إلى ذلك

لئلا يؤخر التوبة ❁ فتجب عليه توبة أخرى

❁ لأن تأخير التوبة ذنب تجب التوبة منه

❋ «والتائب من الذنب كمن لا ذنب له» كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ❋ وفي كتاب الله تعالى ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفسِهِ الرَّحمَةَ﴾ ❋ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعلَمُ مَا تَفعَلُونَ﴾ ❋ إلى غير هذا ❋ والسلام ❋

الرسالة الخامسة والسبعون

تحقق بوصفك يمدك ربك بوصفه

75 - ومنها : فأهل مقام الفناء رضي الله عنهم ❋ ذات الحق عندهم عين صفاته ❋

لأنهم لما فنوا لم يشهدوا قط سواها ❋ ومنذ شاهدوها لم يشهدوا سواها، فلذلك يقال لهم : «الذاتيون» ❋ ولذات الحق من الكمال والحسن والجمال ما تحيرت فيه عقول الكل من خاصتهم ❋ فأحرى عامتهم ❋ لأنها قد تلطفت ورقت ❋ حتى غابت من شدة تلطفها ورقتها ❋ فلما غابت قالت لنفسها : كمالي وحسني وجمالي وبهائي وشرفي وعلُوِّي وارتفاعي لا انتهاء له ❋ وقد غاب ولم يظهر ❋

والكمال لا يكون كمالا كما هو كامل إلا إذا كان حاضرا كما هو غائبا ❁ وكما هو لطيفا يكون كثيفا ❁ وكما هو قريبا يكون بعيدا ❁ وكما هو جماليا يكون جلاليا ❁ وهكذا ❁ فأرادت ظهوره فقالت : كيف أظهره وهي عالمة بذلك ❁ فقالت : نتكثف ونتلون ❁ ثم فعلت ذلك ❁

فهذه الذوات أو نقول : الصور الحاضرة من حيث هي ❁ والغائبة من حيث هي ❁ واللطيفة من حيث هي ❁ والعلوية من

حيث هي ❊ والسفلية من حيث هي ❊ والقريبة من حيث هي ❊ والبعيدة من حيث هي ❊ والمعنوية من حيث هي ❊ والحسية من حيث هي ❊ والجمالية من حيث هي ❊ والجلالية من حيث هي كلها ذاتها ❊ وإن شئت قلت : صورتها قد أظهرت جمالها فيها ❊ ولم تظهر لها في نفسها ❊ إذ هي ما هي إلا هي ❊ وليس ثم شيء سواها ❊

قال شيوخ الطريقة من إخواننا المشارقة :

كل الجمال جمال الله ليس فيه شك

إلا وشاة النهى غالب عليها الشك

يا وارد العين إن حققت زال الشك

الذات عين الصفات ما في المعاني شك

إلى غير هذا مما لشيوخ الطريقة المشارقة والمغاربة في هذا المعنى رضي الله عنهم ❊ فإن فهمت أيها الفقير إشارتنا وتلويحنا فتبارك الله ❊ وإلا «فتحقق بوصفك يمدك

ربك بوصفه» ❊ واعلم رحمك الله أن الجلال ذات ❊ والجمال صفات ❊ والذات عين الصفات ❊ كما عند سائر أهل مقام الفناء رضي الله عنهم -كما قلنا- ❊ لا عند غيرهم من ساداتنا أهل العلم الظاهر رضي الله عنهم ❊

ولا شك أن الظاهر جلال محض ❊ والباطن جمال محض ❊ الظاهر قد أعار من جلاله للباطن كما أن الباطن قد أعار من جماله للظاهر ❊ فصار الظاهر جلالي جمالي

❋ والباطن جمالي جلالي ❋ إلا أن جلال الظاهر حقيقي وجماله مجازي ❋ كما أن جمال الباطن حقيقي وجلاله مجازي ❋ وهذا لا يعرفه إلا من خاض في علم القوم كما خضنا ❋ واستغرق به كما استغرقنا ❋ وفني فيه كما فنينا رضي الله عنا ❋

واسمع أيها الفقير قول الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد الأنصاري الساحلي في كتابه بغية السالك في أشرف المسالك رضي الله عنه : «اعلم -

نور الله قلوبنا بأنوار المعارف وحملنا على منهج كل ولي وعارف- أن المعرفة هي مقام الإحسان وآخر منازله ❁ قال الله عز وجل ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدرِهِ﴾ أي : عرفوه حق معرفته ❁ وقال تعالى ﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ﴾ ❁

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «إن دعامة البيت أساسه ودعامة الدين المعرفة بالله» ❁ ونعني بالمعرفة هنا تمكين حال المشاهدة

واستصحابها مع إقامة القول وملازمة الحكمة ❊ وهذا غير ما يطلقه أهل الفقه من أن المعرفة هي العلم بالرسوم ❊ وإن كان للمعرفة عموم ويصح به أن تطلق على العلم من حيث هو لكن أخص مقتضياتها المعرفة بالله تعالى بمعاني أسمائه وصفاته من غير تفريق بين الصفات والذات ❊ وهي المعرفة الصادرة عن غير الجمع ❊ وتعرب عن الخلاص التام ❊ وتفصح عن دوام السر مع الله عز وجل» ❊ إلى أن قال -

رضي الله عنه : «وإذا تقرر هذا فالمعرفة المشار إليها هي غاية السالكين ونهاية المسافرين إلى الله تعالى ❁ والصفة التي بذلوا فيها أنفسهم إلى الله عز وجل ثمنا ❁ وإن كان لم يبق منها اليوم غير مجرد الاسم دون المسمى ❁ فلا جرم أن نبسط من ذكر أحوالها ووظائفها ما تعلم به قدر ما فاتنا من الله تعالى ❁ ونطلع منه على ما سبق إليه المفردون ❁ وظفر بها العارفون ❁ وما حرمه

المقصرون والطالبون ❊ فإنا لله وإنا إليه راجعون» ❊ والسلام ❊

الرسالة السادسة والسبعون

في الحض على زيارة شيوخ الطريقة والتمسك بالشريعة

76 - ومنها : فاسمع أيها الفقير ❊ أني أحب من يقتدي بي أن يقوم بالمفروض ❊ وبما تأكد من المسنون ❊ وأن يزور شيوخ الطريقة كالإمام الغزالي بجزيرة الأندلس ❊ وسيدي ابن العربي المعافري ❊ وسيدي

علي بن حرزهم ❋ وسيدي عبد الله التاودي
❋ وأستاذنا سيدي علي الجمل ❋ وأشياخه
السادات أولاد ابن عبد الله ❋ وأشياخهم
السادات الفاسيين ❋ فهؤلاء كلهم بمدينة
فاس دفع الله عنها كل باس ❋ وكذلك
الشيخ سيدي أبي يعزا بتاغية ❋ وأبي مدين
الغوث بتلمسان ❋ ومولانا عبد السلام بن
مشيش بجبل الأعلام ❋ ونظائرهم من
أهل مغربنا ومن غيرهم وهم كثيرون
رضي الله عنهم ❋ إلا أنهم لا يعرفهم إلا

من وصل مقامهم ❊ أو من وقف على آثارهم فاستدل به عليهم ❊ لأن الأثر دليل على المؤثر ❊ إلا أن هذا لا يعرفه إلا الحاذق اللبيب من أهل العلم والتقى رضي الله عنهم ❊ ولا يعرفه غيره ❊

ولا شك أن العامة يتشيخون أهل زمانهم يتسرحون في غديرهم ❊ أي : في شهوات نفوسهم ❊ ويعتقدون أن أشياخهم أشياخ الطريقة ❊ ولا هم أشياخ الطريقة ولا عرفوهم حق المعرفة ❊ إنما هم من جملة

العامة الذين هم أهل نسك ❋ والغالب أنهم يجعلون مقامهم أكبر من مقامهم ❋ ويقطبونهم ولا يقبلون غير قطبانيتهم قط ❋ ولو قلت لهم ما قلت إنما تُـعيي رأسك بالكلام معهم في ذلك ❋ لا والله ما الأمر كما يعتقدون ❋ إنما خلاف ما يعتقدون ❋

ولا شك أن الذهب لا يعرفه إلا أهله وهم السمايطية ❋ وأما غيرهم فربما يجدونه في الأرض مطروحا ثم لا يأخذونه ولا يعبؤون له ❋ لأنهم يظنونه صفرا أو نحاسا

أو قصديرا أو ورقا ❁ أو ربما يجدون أيضا صفرا أو نحاسا أو قصديرا فيظنون أنه ذهب فيرفعونه ❁ ثم يجعلونه أعز ما عندهم من ذخائر ❁ لطف الله بهم ❁ فهذا غالب أحوالهم في سائر أزمنتهم ❁

وما أبعد الأمر من الأمر ❁ لأن أشياخ الطريقة ممن ذكرنا في مذاكرتنا قد كادوا رضي الله عنهم أن يكونوا أنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ❁ لأنهم ورثتهم ❁ وصفهم من وصفهم ❁ ونعتهم من نعتهم ❁

ظواهرهم بشرية وبواطنهم ربانية ❁ أو ظواهرهم سلوكا وبواطنهم جذبا ❁ أو ظواهرهم صحوا وبواطنهم سكرا ❁ أو ظواهرهم فرقا وبواطنهم جمعا ❁ وهكذا ❁

فكيف يتشبه الوصف بالوصف وقد بعد غاية البعد ما بين الوصفين ❁ أو نقول : الجهتين ❁

فلا تصف أيها الفقير شيخا من الشيوخ رضي الله عنهم إلا بما وصفه الله به ❁ ولا

تصفه قط بغير ما وصفه الله به ❁ فإذا كان عالما ظاهرا فصفه بذلك ❁ وإذا كان عالما باطنيا فكذلك ❁ أو نقول : إذا كان من أهل الدليل والبرهان فصفه بذلك ❁ وإذا كان من أهل الشهود والعيان فكذلك ❁ وهكذا ❁ ولا تقل في الفقيه الفارس ❁ أو الفارس الفقيه ❁ أو في الرئيس ما ليس برئيس ❁ وما هو ليس برئيس رئيسا ❁ كما هو شأن كثير من الطلبة الجاهلين في ألفاظ رسائلهم ❁ ولعن الله من كذب عليهم ❁

ولا شك أن زيارة الأشياخ رضي الله عنهم لها فضل كبير وسر واضح شهير ❀ كما قال الشيخ الجليل سيدي ابراهيم التازي دفين وهران رضي الله عنه :

زيارة أرباب التقى مرهم يبري
ومفتاح أبواب الهداية والخير

إلى آخر قصيدته النفيسة ❀

فنؤكد عليك أيها الفقير تأكيدا محتما ❀ وعلى كل مقتد بي أن يكون عليها دائما إن أمكن

ذلك ❋ كما يكون على زيارة أهله ما دام حيا ❋ وأن يكون أيضا على إسقاط منزلة نفسه إذ هي شرط في الطريق ❋ لا على إثبات رفعتها كما عليه جُل الناس إلا النادر منهم ❋ والنادر لا حكم له ❋ والسلام ❋

الرسالة السابعة والسبعون
في التأكيد على مخالفة النفس والهوى

77 - ومنها : فكن أيها الفقيه على حذر من ميل قلبك إلى نفسك ❋ إذ هو من نفاق القلب ❋ وميله إليها هو اتباعه الأخف عليها

دون الأثقل ❊ كما عند القوم رضي الله عنهم ❊

وأوصيك أيضا أن تكون على ما يثقل على نفسك دائما ❊ لا على ما يخف عليها ❊ إلى أن تفنى ❊

وقد قلنا مرارا متعددة : «مخالفة الهوى تنتج العلم الوهبي ❊ والعلم الوهبي ينتج اليقين الكبير ❊ واليقين الكبير ينفي الشكوك

والأوهام * ويزج صاحبه بحضرة الملك العلام» * والسلام *

الرسالة الثامنة والسبعون

في الحث على كثرة الانفاق في سبيل الله

78 - ومنها : فالعامة لهم رأس المال ولهم الربح * ولا نرى للخاصة إلا الربح * فلا ينبغي للمقتدي بهم أن يدخر شيئا * إنما يبسط يده دائما سرمدا * تخلقا بأخلاق مولاه إذ قال تعالى : ﴿بَل يَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ

يُنفِقُ كَيفَ يَشَاءُ﴾ ❊ ويد الله ملأى لا تخشى فاقة -كما في الحديث الشريف- ❊

ولا يخاف الفقرَ إلا من بعد من ربه ❊ وكيف يخافه من له الربح من دون رأس المال ❊ ومعاذ الله أن يكون من دون رأس المال من الله ربه وسيدنا محمد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ❊ وقد قال ولي الله تعالى سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه : «للناس أسباب وسببنا الله» ❊ وقال مرة أخرى : «للناس أسباب وسببنا نحن

الإيمان والتقوى ❁ قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوا لفتحنا عليهم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ﴾ ❁

وقد تكلمنا ذات يوم مع بعض الفقراء من إخواننا أهل فاس -دفع الله عنها كل باس- في هذا المعنى ❁ ففضل أهل الأسباب على أهل التجريد ❁ واستشهد بالحديث الذي هو : «إن الله يحب العبد المحترف» ❁ فقلت : نعم إن الله يحب العبد المحترف ❁ لكن الحرفة الكبيرة هي ترك

الحرف ❊ قال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجعَل لَّهُ مَخرَجًا وَيَرزُقهُ مِن حَيثُ لَا يَحتَسِبُ﴾ ❊ ﴿وَمَن يَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَٰلِغُ أَمرِهِ قَد جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيءٍ قَدرًا﴾ ❊

ولم يدر -لطف الله به- أن المتسبب الأفضل هو الذي حصلت له الثقة بالله ❊ فتنزل إلى الأسباب بعد حصول الحرية كأستاذنا رضي الله عنه ❊ الذي كان يسأل القراريط دائما من حانوت إلى حانوت مع جلالة قدره وعلو منزلته رضي الله عنه ❊

وكأبي سلهام الذي أشار إلى البحر فأتاه بلا تأني ❋ وقد كان مع علو مقامه وعظيم شانه يتستر بأضعف الأسباب وهي صيد الحوت بالسنارة ❋ والسلام ❋

الرسالة التاسعة والسبعون

من علامات الشرفاء

من آل البيت النبوي وأخلاقهم

79 - ومنها : فاسمع أيها الفقير ❋ أني قلت لبعض الشرفاء رضي الله عنهم وقد أساء إلى بعض الناس : «من زعم أنه شريف

وخلقه سيء فهو كذاب ❁ إذ الشريف حقا هو الكريم الخلق ❁ وكيف يكون سيء الخلق وأصله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال فيه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ❁ فإذا لم يكن -يا أخي- وصفك من وصفه ونعتك من نعته ❁ فمن أي جهة تكون منه ❁ ومن أي باب تقرب منه ❁ إذ ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا الأخلاق الكريمة والمحاسن

العظيمة ❁ وليس له غيرها قط ❁ والله على ما نقول وكيل ❁

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي البوصيري رضي الله عنه في بردته :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر
وأنه خير خلق الله كلهم

وكذلك أيضا قلت لبعض الفقراء ❊ وقد كان مشتهرا بالمرابطة عند كافة أهل بلده : «أنت يا أخي مشتهر بالمرابطة أكثر من سائر الفقراء ❊ فاشتهر أنت بالمحاسن أكثر منهم لكي تناسب اسمك» ❊ والسلام ❊

الرسالة الثمانون

في الحث على فطم النفس عن الشهوات

80 - ومنها : فاحذر أيها الفقير من أن تقود نفسك إلى ما عنه نهاك ربك ❁ ثم تترك ما أمرك به ❁ فكن على حذر منها ❁ واقنع من الدنيا ❁ وافطم نفسك دائما عنها ❁ والمحتم عليك ما قلنا لك إذ هو قريب ❁ إنما يبعده الوهم والوهم باطل فلا تعتبره ❁ ولا يكبر عليك فطم نفسك عن شهواتها من أولها إلى آخرها ❁ وتراها تركن إلى بعض الأمور

حتى لا يتصور الإنسان أن يفارقها ❋ مع أن مفارقتها قريبة لأن :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

كما قال الشيخ البوصيري رضي الله عنه في بردته ❋

وقد صح بالتجريب المرة بعد المرة ما قاله رضي الله عنه ❋ والله ما كنا نقول نترك بعض الأمور فإذا بنا قد تركناها ونسيناها ❋

بعد أن كان ذلك من المحال عندنا ❊ ومن الأمور التي كان لا يتصور لنا فراقها : النوم والأكل والكلام وخلطة الناس والاستئناس بهم ❊ فإذا بنا إن شئنا أن لا نأكل ولا ننام ولا نتكلم ولا نخالط الناس لكان ذلك لنا بلا مشقة ولا تعب ❊ والله على ما نقول وكيل ❊ والسلام ❊

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وصَحبِهِ وَسَلِّمْ تَسلِيما كَثِيرا ❊ سُبحَانَ

رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ❊ وَسَلَامٌ على المُرسَلِينَ ❊ والحَمدُ لِلّٰهِ رَبِّ العَالَمِين ❊